الفصل الحادي عشر

بعد تناول طعام الغداء في اليـوم اللاحق، بدأت بتركيب القطع. فأخـذت المروحـة، والشفـرات، والمساميـر والمولِّـد، خارجـاً خلف المطبخ، ثمّ رتّبتها في صف أنيق على التراب الصُّلب الأجدب.

كانـت المساحة واسعة، خاليـة، نظيفة، مثالية للشـروع في بناء الآلـة، قريبة مـن غرفتي ومن المطبـخ، وكانت تُعَـدّ – بالنسبة إليّ– مختبـراً ومخزنـاً وورشةً، إضافة إلــى أنها كانت أفضل منطقة مظلّلـة. فعندما كانت شمس الصبـاح على أشدّها، كانت شجـرة الأكاسيا الكبيرة خلف المرحاض تورفني بظلّها، مُوفِّرة لــي أسباب الراحـة في أثناء العمل. وحين تنحرف الشمس في أثناء الظهيرة، يتولّى المطبخ تلـك المهمـة، مُوفِّراً ظـلّاً مناسباً. كانـت تلك البقعة أيضـاً أفضل مكان فـي محيط البيت لاستقبـال الرياح الشرقية القادمـة من البحيرة مروراً بالجبال. وحين بدأت العمل منتصف الظهيرة، شاهدت مرتفعات دوا المحاطة بالسماء الزرقاء، في منظر بديع يوحي بالعظمة.

كنت أولاً في حاجـة إلى وصل الشفرات بمروحة الدوّار. لذا، دخلت المطبخ، وحضّرت مثقباً، ثمّ أمسكت المسمار الطويل بالمقبض المصنوع من عرنوس الذرة، وضعته في الجمر. وحالمـا أصبح ساخناً جدّاً، استعملته لإحداث أربعة ثقـوب في أعلى الشفرات البلاستيكية، وثقبيـن آخرين في الوسط. وقـد استغرقت عملية التسخين والتذويـب وإعاد التسخين تلك قرابة ثلاث ساعات.

بعد ذلك، استعملت مفتاح ربط أصغر حجماً؛ لتثبيت الشفرات بمروحة الجرّار بوساطة الصواميل والمسامير التي اشتراها غيلبرت. لم يكن لدينا حلقات معدنية لتثبيت المسامير جيداً. لذا، قضيت الساعة اللاحقة في جمع أغطية الزجاجات من جانب مركز أوفيسي للخمور؛ لتحلّ محلّها.

مروحة الجرار والشفرات من أول طاحونة هوائية كبيرة صنعتها. التقطت هذه الصورة بعد أن آستبدلت حلقات حديدية بأغطية زجاجات جعة كارلسبيرغ وأضفت بعض المسامير. عدا ذلك، فكلّ شيء كما هو.

انظروا، قالها أحد السكارى الواقفين في الممرّ بعينين مشوشتين توشكان أن تُطيحا به أرضاً، ثمّ أضاف: أصبحت الحكومة تُنظّف الشوارع أخيراً. يا فتى، هل لك أن تجلب لي مشروباً؟ أنا يتيم كما تعرف.

قلت: آسف، أنا مشغول.

وبعد جمع ستة عشر غطاءً من أغطية زجاجات جعة كارلسبيرغ، نظّفتها، ثمّ أسرعت عائداً إلى البيت. وهناك أخذت أطرقها لتصبح مسطّحة، ثم وضعت المسامير فيها من المنتصف. لقد كانت مناسبة تماماً. بعدئذٍ، بدأت بتدعيم الشفرات – كما يُجبَر العظم

المكسـور– باستخدام قطع من الخيـزران، طول كلّ منها ثلاث أقـدام. وحالما انتهيت من ذلك، أصبح باع كلّ شفرة ثماني أقدام تقريباً.

تفرَّغت – بعد ذلك – لتثبيت هيكل الدرّاجة، فوضعت الدوّار والشفرات على أربع قطع مـن الطـوب بالطريقة نفسها التي تُرفَع بها السيارة؛ لأتمكّـن من العمل تحتها. كان التحدي الأكبـر يتمثّل في تثبيـت الدرّاجة بالشفرات؛ إذ كانت الدرّاجة ثقيلـة، وغير متوازنة، بسبب بـروز مخفّف الصدمات من العجلة المسنّنـة. وأخيراً، تمكّنت من رفع الدرّاجة ولفّها بحيث يتجـه مخفّف الصدمات إلى أسفل، ثمّ ثبّتهـا بالفتحة المتوسطة للمروحة والشفرات. وبذا، أصبحـت الدرّاجة موزونة على ذراعها، فانحنيت تحت الشفرات، واضعاً المسمار الخابوري في الطرف الآخر لمخفّف الصدمات، ثمّ ثبَّته بإحكام.

بعدئـذٍ، ثبَّـتُ المولِّـد بهيـكل الدرّاجة، بحيـث تلامس عجلتـه المعدنية حافـة الإطار الخارجية. ثمّ وصلت السلسلة بالعجلتين المسننتين؛ الأمامية والخلفية، مع التأكّد من ثباتها وقدرتها على الصمود.

كان الوقـت أواخـر الظهيـرة، وكان محيـط البيت خاليـاً تماماً. وكانـت شقيقاتي في الخــارج يقمن بواجباتهنّ. أمّا والدي، فكان يشارك في جنازة بقرية مجاورة. في حين كانت والدتـي تدندن مـع نفسها في المطبخ في أثناء تحضير العشـاء، وكانت بين الفينة والأخرى تهمس شيئاً إلى تياميكي التي كانت مستلقية بهدوء في مهدها قرب الباب. وما لفت انتباهي، عدم تشغيل المذياع – على غير العادة –، فتلذّذت بطعم ذلك الهدوء النادر، ورائحة الفول الشهي المنبعثة من المطبخ. لم يكن هنالك أيّ منغصات.

حينمـا انتهيت من تثبيت المولِّد والسلسلة، كان الظلام قـد خيَّم على المكان، وأصبح من الصعب المضي في العمل. فسحبت دلو ماء من البئر وسخّنته كي استحم، ثمّ ذهبت إلى غرفة المعيشة لتناول طعام العشاء. كانت شقيقتي روز قد عادت للتو من السوق، وشاهدتني في أثناء دخولها. وما هي إلّا لحظات حتى وقفت مع بقية شقيقاتي حول الآلة ضاحكات.

قالت روز: **لم نشاهدك طوال اليوم يا ويليام. كان الناس في السوق التجاري يسألون عنك.**

قلت: **شقيقك مشغول.**

قالت: **أخبرتهم أنّك تلهو بقطعك المعدنية كي تولّد الطاقة.**

قلت مبتسماً: **شيء من هذا القبيل. انتظروا؛ فسوف تُفاجَأْنَ عن قريب، أنتنّ والجميع.**

بعد تناول العشاء، ذهبت إلى غرفتي مُنهكاً، ثمّ خلدت إلى النوم سريعاً.

استيقظت في صباح اليوم القادم مع أول شعاع شمس، وكنت مستعدّاً لإكمال العمل. كان عليّ إيجاد طريقة لرفع هذه الآلة الثقيلة وتحريكها. لذا، أخذت قطعة أخرى طويلة من الخيزران، ثمّ مرّرتها من الهيكل مع حبل لتصبح كالمقبض.

ثمّ خططت لبناء برج خشبي طويل؛ بغية تثبيت الآلة بأعلى نقطة فيه. ولكن، كان عليَّ أولاً التحقُّق من مدى نجاح هذه العملية؛ وذلك باستخدام برج مؤقّت للتجربة. كانت لديّ قطعة أخرى من الخيزران يبلغ عرضها نحو ستة إنشات. وقد استخدمت مثقابي الخاص لعمل ثقب في أعلاها، ثمّ غرزت العمود في التربة الحمراء.

حينها، رأيت جيفري يركب درّاجته. كان عائداً من تشيبومبا. وقد صادف أنّه يوم عطلته، فجاء لزيارتي.

قلت: **لقد جئت في الوقت المناسب**، فسألني: **هل هذا هو المشروع نفسه الذي كنت تعمل عليه؟**

أجبت: **نعم، هذا كلّ شيء. أنا سعيد لمجيئك يا صديقي. ساعدني على رفع هذا الشيء وتثبيته بالعمود.**

وبعد أن ثبّتنا العجلة بمبرق درّاجة مثني لكيلا تدور، حملنا الآلة بحذر، ثمّ ثبَّتها جيفري بإحكام إلى العمود بوساطة سلك وقطعة مطاطية، قائلاً: **يا إلهي، انظر إليها.**

مشيت حول الطاحونة، مُنْعِماً النظر فيها من الزوايا كلّها كما لو كانت مسخاً غريباً، ثمّ قلت: **ما أجملها!**

سأل جيفري: **هل نبدأ؟**

أجبت: **أجل.**

انتـزع جيفـري المبرق من العجلة لتبـدأ الشفرات بالدوران. كانـت حركتها بطيئة في البداية، لكنّها أخذت تُسرِع شيئاً فشيئاً. وما هي إلّا ثوانٍ معدودات حتى بدأت الشفرات تدور بسرعة كبيرة، لدرجة أنّ السلسلة انشطرت إلى جزأين، وكاد العمود أن ينقلب.

فصرخـت قائلاً: **امسك بها!**. وقد تمكّنّا من الإمسـاك بها قبل أن تسقط على الأرض وتتفكّك.

ولحســن الطالع، فإنّ الحفرة التي حفرتها كانت واسعة بعض الشيء؛ ما ساعدني على لـفّ العمـود، وإبعاد الآلة عن اتجاه الرياح. وما إن توقّفـت الشفرات عن الدوران حتى بدأت بإصلاح السلسلة. وقد استغرقت هذه العملية ساعتين.

كان أحـد أهـداف التجربة، هو تعـرّف أكان المولِّد يولِّد تياراً كافيـاً أم لا؟ لذا، نزعت بعضـ الأســلاك مـن مولّـد الدرّاجـة الهوائية، ثـمّ وضعتها فـي تجويف مذيـاع والدي ذي البطاريـات الأربع والتيار المتناوب. أدارت الرياح الشفرات مجدّداً، فسمعت موسيقا مدّة لا تزيد على ثانية. لقد نجح الأمر أخيراً! ولكن، سرعان ما بدأ المذياع يصدر دخاناً أسود من السمّاعات، وكاد أن يشتعل.

انظـر مـا حلّ بمذيـاع والدك!، قالها جيفري وهو يلتفت يمنــة ويسرة، آملاً ألّا يشاهد والدي في الجوار.

كنت متحمّساً جدّاً، ولم أكترث لذلك، فقلت: **هل رأيت الطاقة يا جيفري؟ هل رأيتها؟**.

وفـي هذه اللحظـة، انفجر المذياع لأنّني نسيت أنّ المولِّد يولِّـد طاقة قدرها أثنا عشر فولتـاً، بينما يتحمّل المذياع نصفها فقط. أضف إلى ذلك أنّ الرياح تلفّ الشفرات على نحو أسـرع من الشخص الذي يحـرِّك دوّاستي الدرّاجة؛ وهذا يعني وجود مـا يشبه تدفّقاً كبيراً للطاقة هنا. لذا، كان عليّ إيجاد طريقة لتقليل الفولتية.

كنـت قد قرأت عن الفولتية في كتاب **شرح الفيزياء**، ولحسن حظي أنّه كان في غرفتي (كنـت الوحيد الذي استعار الكتاب أصلاً). أخـذت أُقلِّب صفحات الكتاب إلى الصفحة التي رأيـت فيها رسمـاً معيّناً يُظهِـر مصباحين (لمبتيـن) منفصلين مُضاءيـن بوساطة مصدر منخفض، تبلغ طاقته أثنا عشر فولتاً؛ أي مثل الذي عندي تماماً. كان المصباحان موصولين بأسـلاك طويلة، وكانت إضاءة أحدهمـا ساطعة بفضل شيء يُدعى المحوّل، الذي كان يزيد من فولتية التيار المتناوب ويجعلها أقوى. أمّا المصباح الآخر فلم يكن موصولاً بمحوّل. لذا، كانت الطاقة الواصلة إليه تقل في أثناء رحلتها، لتتحوّل إلى حرارة تسري عبر الأسلاك، بما يُعرَف بالتبدّد.

ولمـا كانت الطاقـة تُفقَد عندما تقطـع مسافات طويلة عبر الأسـلاك، فقد فكَّرت في استخـدام الفكـرة نفسها مع المولِّد والمذيـاع. فذهبت إلى كومة الخـردة المكوَّنة من قطع أجهـزة المذياع، ووجدت محـرّكاً قديماً. فتحته، ثمّ أخرجت بكرتـه. بعد ذلك، استخلصت السلك النحاسي الطويل، وبدأت ألفّه حول عصا، ثمّ وصّلت أحد طرفي ذلك السلك بالمولِّد. أمّـا الطـرف الآخر فوصّلته بالمذياع. وقد تسبَّب ذلك في ضيـاع كمية كافية من الطاقة؛ ما سمح للمذياع بالعمل من دون حمل زائد.

بقيت الطاحونة الهوائية على العمود طوال يومين، وكانت مخفية بعيداً عن الأعين خلف البيـت. وفي تلـك الأثناء، ذهبت برفقة غيلبـرت وجيفري لبناء البـرج. التقينا في الصباح الباكـر أمام بيتي، وحملنا فأساً وحراباً، ثمّ مشينا في أجمة اليوكاليبتوس الواقعة خلف بيت جيفـري. كانت تلك الغابة هي نفسها التي أشرت إليها فيما مضى، وتعرّضت فيها – بحسب اعتقـادي – إلى السحـر من بائع العلكة؛ إنّهـا الغابة نفسها التي سلَّمت فيهـا لقوّة السحر، وتقبّلـت الهزيمة، وها أنا أعـود إليها الآن لأقطع بعض أشجارها؛ كـي أبني منها سلّماً للعلم والإبداع، وهو شيء أعظم وأكثر واقعية من أيّ سحر في البلاد.

سرنـا ببطء في الغابة، ونظرنـا إلى الأشجار بعناية. اخترنا أخيـراً واحدة يبلغ طولها ستة أمتار تقريباً.

سألت كمَنْ يفكِّر بصوت مسموع: **هل هذه طويلة كفاية؟ هل هي قوية كفاية؟**

هزّ جيفري وغيلبرت رأسيهما موافقيْنِ.

قلت: **فلنبدأ إذن.**

انهــال ثلاثتنــا ضرباً على الجــذع بالأنصال، فسقطت الشجرة علــى الأرض بعد عشر دقائق فقط. ثمّ أخذنا نشذّبها من الأغصان بحرابنا، ونزعنا عنها اللحاء بأيدينا. بعد ذلك، قطعنــا شجرتين أُخريين بالطريقة نفسها، وقضينا الظهيــرة ونحن ننظّفهما من الأغصان واللحــاء. وما إن أشارت الساعة إلى الثالثة مساء حتــى كنّا نحملها على أكتافنا عائدين إلى البيت.

حفرنا خلف غرفتي ثلاث حفر، عُمّق كلّ منها متر واحد، وبينها مسافة متساوية. وبعد أن لففنــا أسفل الأعمدة بأكياســ الجامبو لحمايتها من النمل الأبيض، وضعناها في الحفر. وكان جيفــري قد تبرّع بالأجر الذي حصل عليه من العمل في طاحونة الذرة لشراء كيس من المسامير. استخدمنا الأغصان التي أزلناها عن الأشجار وثبّتناها بالمسامير على الأعمدة لتصبح دعامات (درجات) السلّم، بدءاً بمسافة أربع أقدام؛ كي لا يتمكّن الأطفال من تسلّقها. ومــا إن ثبّتنــا أول دعامة في مكانها حتى صعدنا عليها لنثبّــت الثانية، حيث استعملنا الجزء الخلفي من الفأس مطرقةً.

أكملنــا بنــاء البرج مع غروب شمس الأصيل. كان ثابتــاً بارتفاع ست عشرة قدماً، لكنّه بدا من مسافة قريبة كزرافة مترنّحة شربت كثيراً من الكاتشاسو.

قلت: **اخلدوا إلى النوم يا رجال، وغداً سننصب الآلة.**

وفــي اليوم القادم، حضر غيلبرت وجيفــري الساعة السابعة صباحاً تقريباً. كان هيكل الطاحونة يزن نحو تسعين رطلاً، وكنت على علم أن الطريقة الوحيدة لرفعه إلى أعلى ستكون باستخــدام حبل وبكرة. لم يكن لديَّ حبل متين كفاية. لــذا، استخدمت حبل الغسيل الغليظ المخصوصــ بوالدتي للقيام بالمهمة. ففككنا الحبل من مكانه، ثمّ ثبّتناه بمقبض الخيزران في الطاحونة.

وقد استخدمت الطرف الآخر من الحبل في تسلّق البرج، ولفّ السلك من فوق الدعامة العلويـة، ثمّ رميته إلى غيلبرت في الأسفل. أمّا جيفري فوقف على دعامة في الوسط لتوجيه الآلة في أثناء رفعها. وقد استطعت من مكاني هناك رؤيةَ المدى والأفق فوق شجرة الأكاسيا، حيث كانت الحقول تعانِق المرتفعات، فصرخت: **حسناً يا غيلبرت، ارفعها!**.

بدأ غيلبرت يسحب السلك بحذر، فارتفع مقبض الطاحونة ببطء في البداية، ثمّ ارتفع الهيكل، وأخذ يتأرجح في الهواء، فقلت: **على مهلك!**.

سحـب ثلاثتنا السلك بكلّ ما أوتينا من قـوّة، ثمّ صرخت: **هيّا يا رجال، لنشاهد مدى قوّتكم**.

قال غيلبرت مصارعاً حبل الغسيل: **أنا أسحب بأقصى طاقتي. لا تدعه يفلت منك يا جيفري**.

فردّ قائلاً: **قم أنتَ بعملك، وسأقوم أنا بعملي!**.

ارتفعـت الطاحونة إلى أعلى البرج رويداً رويداً، وكانت تتأرجح مع كلّ سحبة، وتضرب شفراتهـا الثمينة بهيكل البـرج الخشبي. وعلقت مرّات عدّة بدعامـات البرج، فكان جيفري يحرِّرها، مُنبِّهاً إيّاه لتوخّي الحذر في أثناء ذلك، بقولي: **حذارِ، وإلّا كُسرت الشفرات!**.

فيرد: **لا تخف!**.

تطلَّب الأمر نحو نصف ساعة لإيصالها إلى القمّة. وحين أصبح المقبض بمتناول اليد أمسكت به، قائلاً لغيلبرت: **اربطها!**.

أخـذ غيلبرت يلفّ السلك حول العمـود الرئيس، فثُبِّتت الطاحونة فـي مكانها. وحالما تمسّكت بها انضم إليَّ جيفري في الأعلى لتثبيتها في مكانها.

كنّـا في اليـوم السابق قـد عملنا ثقبيـن في الأعمـدة الخشبيـة، بوساطـة مسمارين نزعناهمـا عن محـور درّاجة هوائية (استغرق تثبيت المسماريـن بعمود خشبي قطره ثمانية إنشـات وقتاً طويلاً؛ لأنّنـا استخدمنا المثقاب الذي يُسخَّن على النـار). كنّا أيضاً قد أخذنا

الدرّاجـة إلى متجر غودستين، وجعلناه يستخدم لهب آلـة اللحام لعمل ثقبين متشابهين في عارضة الهيكل المتقاطعة.

فـي الوقت الذي حمل فيه جيفري المساميـر والحلقات والصواميل في جيبه، قمت أنا بتثبيت الطاحونة بموازاة الفتحات. كنت أشعر بالآلة تصارع للإفلات من يديّ.

قلت: **اعمل بسرعة، فهذا الشيء ثقيل جداًّ!.**

قال: **أنا أحاول ذلك. اصمد حتى أُنهي عملي.**

أدخـل جيفري المسامير وثبّتها بمفتـاح الربط. وحالما انتهينا مـن تثبيت الطاحونة، نظـر كلّ منّـا إلى الآخر مبتسمـاً. شعرت حينئذٍ أنّني قـوي وذو جَلَدٍ. وفي حيـن أخذ العرق يتصبّب على وجهي الذي برد بفعل النسيم، كنت أتشوّق لرؤية الشفرات وهي تدور.

نزل جيفري عن البرج، وبقيت أنا في مكاني متأمِّلاً المنظر. فشاهدت من جهة الشمال الأغطية الحديدية التي تسقف المركز التجاري، وصفّ الأكشاك البنّية التي تقع خلف الشارع الرئيسـي. وفجأة، حدث شيء غريب؛ إذ بدأ صف مـن الناس يدلف عبر الأزقة من المحالّ مُتّجِهاً نحوي. كانوا قد شاهدوا البرج من السوق؛ فبدأوا يسيرون نحو بيتي. تجمَّع العشرات عند القاعدة في دقائق معدودة، وقد عرفت منهم بعض التجار الذين كانوا يعتمرون قبّعاتهم الدائرية، ويرتدون أثوابهم الفضفاضة. كان أحدهم يُدعى كالينو.

سأل: **ما هذا الشيء؟**

ولمّا لم يكن هنالك مصطلح مرادف للطاحونة الهوائية في لغة التشيتشيوا، فقد أجبته باستعمال مصطلح «**ماغيستي إمبهيبو**»، قائلاً: **رياح كهربائية.**

فسأل: **وما الذي تفعله هذه الآلة؟**

أجبت: **تولّد الكهرباء بطاقة الرياح. سأريك كيف.**

مستحيل!، قالهـا كالينو هازئاً، ثـمّ استدار ليرقب ردّة فعل الحشـد، قائلاً: **تبدو لي كبرج الإرسال. ما هذه اللعبة؟.**

قلت: **ارجع إلى الوراء، وراقب.**

قفـزت من على البرج، وركضت إلى غرفتي لإحضـار القطعة الأخيرة. كنت قد وجدت فـي صبـاح ذلك اليوم قصبـة غليظة، فقطعت منها جـزءاً طوله ثمانية إنشـات؛ وهو حجم مثالي لتثبيت لمبة المولِّد الصغيرة. قمت بعدها بلفّ سلك نحاسي طويل على قاعدة اللمبة، ثمّ أدخلته في القصبة بحيث يتدلّى طرفه من الجانب الآخر. كان ذلك بمثابة تجويف للمبة.

بعـد ذلك، أمسكـت القصبة واللمبة بيدي، ثمّ تسلّقت البـرج مجدّداً، وشبكت أسلاكه بأسـلاك المولّـد. وفي هذه الأثناء، توافد مزيد من الناس إلـى المكان، فأخذت أنظر إليهم بطرف عيني.

سأل مُزارِع يُدعى باندا: **ماذا تظنونه فاعلاً الآن؟**

أجـاب رجل سمين: **هذا هـو مجنون ساحة الخـردة الذي حدثني عنـه أبنائي. أشعر بالأسى حيال والدته!.**

نظرت إلى الأسفل مرّة أُخرى، فإذ بوالديّ وشقيقاتي في آخر الحشد؛ ينتظرون بعيون حائـرة. كانت أفواههم فاغرة بعض الشيء، كأنّني فـي مباراة والكرة بحوزتي قبل ثانية من نهايتهـا. كانت حركتـي قد أصبحت تلقائية في تلك الأثناء. فقـد تدرّبت لهذه اللحظة طوال شهور عدّة. أصبح هنالك الآن نحو ثلاثين شخصاً بالغاً عدا أفراد عائلتي، إضافة إلى كثير من الأطفال.

كان الجميع يشيرون إليّ، ثمّ أخذ بعضهم يقول:

– دعونا نشاهد مدى جنون هذا الفتى.

– اهدأوا! سيكون هذا عرضـاً شائقاً.

هبّت الرياح عبر عارضات البرج، فخلطت رائحة شحم السلسلة بالبلاستيك المذاب. وبقـي مبـرق الدرّاجـة المثني محشـوراً بالعجلة مُثبّتاً لهـا، لكنّ الآلة أخـذت تئن مع هبوب النسيم، كأنّها تتوسّل إليَّ لكي أُطلقها، فقلت لنفسي: **ها نحن أولاء.**

أمسكـت بمبرق الدرّاجة، وزحزحته عن مكانه، فبـدأت الشفرات تدور. كانت السلسلة مُثبَّتـة جيداً بالعجلة المسنّنة، فأخذ الإطار يدور ببطء، مُصـدِراً صريراً وأنيناً في البداية. لقد حدث كلّ شيء بالحركة البطيئة. كنت أريدها أن تُسرِع في الحال.

رجوتها قائلاً: **هيّا، لا تحرجيني الآن.**

بدأت سرعة دوران الشفرات تزداد شيئاً فشيئاً.

قلت لنفسي: **هيّا، هيّا.**

عندئـذٍ، هبّـت رياح ضربـت جسدي وأصبحـت الشفرات تـدور بسرعة كبيـرة. اهتزّ البـرج مرّة أُخرى، وكدت أفقد توازني. فوضعـت مرفقي حول العارضة الخشبية بينما كانت الشفـرات تدور كمروحة غاضبة خلـف رأسي. ثمّ حملت اللمبة أمام عينـيّ، مُنتظِراً حدوث المعجزة. توهّجت اللمبة لوهلة، ثمّ ظهر ضوء ساطع بهيج. أوشك قلبي أن يقفز من مكانه.

قال أحدهم: **انظروا، لقد صنع ضوءاً!**.

قال آخر: **لقد كان مُحقّاً فيما قال!**.

تدافعت مجموعة من طلاب المدرسة إلى الأمام؛ سعياً لرؤية أوضح.

قالوا: **انظروا كيف تدور!**.

كان ضـوءاً بهيّـاً يخصّني من دون منافـس! فرفعت يديّ في الهـواء، وصرخت فرحاً. ضحكـت كثيراً حتى إنّني أُصبت بالـدوار. فأصبحت أتدلّى بذراع واحـدة واللمبة تتوهّج في يدي الأخرى، ثمّ أخذت أنظر إلى العيون التي ترقبني من أسفل، والتي أصبحت الآن مفتوحة على آخرها من هول ما ترى.

صرخت قائلاً: **هذه رياح كهربائية. أخبرتكم أنّني لست بمجنون!**.

بـدأ المتجمهـرون يهتفـون واحداً تلـو الآخر، ثمّ رفعـوا أيديهم في الهـواء، مُصفِّقين صارخين:

– واتشيتابوينا! أحسنت صنعاً!.

– لقد نجحت يا ويليام!.

– كنّا نشك في قدراتك، وانظر ماذا صنعت الآن!.

قلت: **لقد نجحت، والآن حان وقت التوسّع. انتظروا، ولسوف ترون!.**

بدأ البالغون من الحضور يوجِّهون إليَّ الأسئلة بصوت مرتفع، لكنّ أصواتهم ضاعت في غمرة ضجيج الشفرات التي كانت تدور خلفي بسرعة. فأخذوا يتحلّقون حول غيلبرت وجيفري؛ رغبة في تعرّف مزيد من التفاصيل. وفي هذه الأثناء، لم يكفّ هذان الاثنان عن الابتسام.

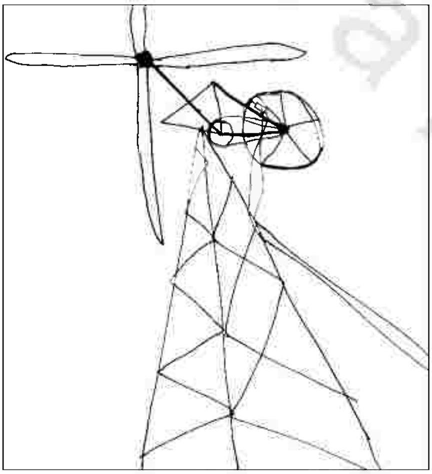
أول طاحونة هوائية كبيرة من صنعي، طولها خمسة أمتار تقريباً (أكثر من ست عشرة قدماً)، وهي مزوَّدة بمولّد درّاجة هوائية، قدرته اثنا عشر فولت. إنّها تحفتي الفنية.

وقفت في مكاني نحو نصف ساعة أعيش اللحظة، فقد كنت في المكان المناسب لفعل ذلك. لم أنزل إلّا بعدما أصبحت اللمبة ساخنة جدّاً بفعل التيار، وكان عليَّ أن أُفلتها.

وما إن حلّ وقت الهاجرة حتى ثبَّتّ اللمبة بالعارضة العليا من الطاحونة وتركتها هناك. كنت ما أزال مُنتشِياً بفعل ما حصل، وشعرت برغبة في حرق بعض الطاقة، فذهبت إلى السوق التجاري لكي أحظى بشيء من المجد هناك. وحين مررْتُ بالأكشاك المترامية على جنبات السوق تمكَّنْتُ من رؤية الضوء في قاع الوادي؛ إذ كانت اللمبة متوهّجة بفعل موجات الحرارة، ما حفزني إلى الوقوف هناك مدّة طويلة لتأمّلها.

وفي هذه الأثناء، قال رجل يقف بجانبي مُمسِكاً بكيس من الطماطم: **ما ذلك الشيء هناك؟ إنّه يدور في الهواء كطائرة مروحية.**

أجابته بائعة الطماطم؛ ماغي، وكانت صديقة لوالدتي، قائلة: **إنّها للفتى الذي بجانبك، لماذا لا تسأله؟**

فقال: **هل هذا صحيح؟ كيف أمكنك فعل ذلك؟**

شرحت الأمر للجميع بالطريقة نفسها. لكنّه قال: **ما زلت لا أفهم. أريد أن أذهب وأرى بنفسي.**

وفي الشهر اللاحق، بلغ عدد الذين حضروا لمشاهدة الضوء نحو ثلاثين شخصاً يوميّاً.

كانوا يسألونني: **كيف تمكّنت من فعل هذا؟**

فكنت أردّ محاوِلاً تجنّب الغرور: **بالعمل المضني، وكثير من البحث.**

كان كثير من الزوّار رجالَ أعمال قَدِموا من مناطق أُخرى للمتاجرة في السوق. فقد أصبحت الطاحونة مصدر جذب للتجار المتنقلين، ومحطة إجبارية يتعيّن الوقوف إزاءها عند المرور بقريتنا. وجاء آخرون من القرى المجاورة على درّاجاتهم الهوائية، حاملين الدجاج وأكياس الذرة. وتوقّفت نسوة يحملن الطحين على رؤوسهن، وأخذن يتحدثن مع والدتي.

قالت إحداهنّ: **لقد أنعم عليك الله بابن يصنع المعجزات. لن تحتاجي إلى الكاز بعد الآن.**

أمّا الزوّار من الرجال فتوجّهوا إلى والدي، ودار بينهم وبينه الحوار الآتي:

– أهذا من صنع ابنك؟

– نعم.

– يا له من فتى عبقري! من أين جاء بتلك الأفكار؟

– إنّه يقرأ كثيراً من الكتب. ربّما تعلّم منها.

– هل يعلمون بشأنه في المدرسة؟

– لقد أُجبِر على ترك المدرسة. لقد صنعها بنفسه.

انشغلت في ذلك الشهر بتنظيف الحقول وتحضيرها للموسم القادم، وقد انتابني شعور بالفرح في أثناء العمل. وفي حال كنت أعمل في الحقل المحاذي للبيت، فكثيراً ما كنت أتوقّف في أثناء الضرب بالمعول؛ لأراقب الشفرات وهي تدور.

ولدى عودتي إلى البيت مساء بعد العمل، كانت والدتي تقول لي: **لقد جاء كثير من الناس اليوم، وطرحوا أسئلة عدّة، لكنّني لم أتمكّن من الإجابة عنها. فأخبرتهم أن يعودوا مجدّداً.**

في أثناء لعب الباوو ذا مساء مع غيلبرت وجيفري قرب صالون الحلاقة، لفّ المركز التجاري الظلام بسبب انقطاع الكهرباء مرّة أُخرى. فانطلقت إلى البيت تحت جنح الظلام، ثمّ وصلت اللمبة، وقفلت عائداً إلى السوق.

قال أحد الرجال: **يا إلهي، كم أكره انقطاع الكهرباء!**، ثمّ غادر صالون الحلاقة مغطّياً رأسه بقبّعة.

فقلت مُبتسِماً: **انقطاع الكهرباء! ماذا يعني ذلك؟ هل رأيتم بيتي يا رجال؟**

أطل السيد إيبونغا من صالونه، وهو يمسِك بآلة الحلاقة المتعطّلة، قائلاً: **أعتقد أنّك تفرح لانقطاع الكهرباء هنا لكي تتفاخر برياحك الكهربائية.**

قلت: **ربّما.**

وبعد مرور شهر على هذه الحادثة، بدأت العمل على إيصال الضوء إلى غرفتي؛ ما يتطلّب شراء كثير من الأسلاك الكهربائية، لكنّني لم أكن أملك المال الكافي كالعادة. وبعد يومين، كنت أنا وغيلبرت نتسكّع في بيت تشاريتي قرب المركز التجاري، فلمحت أمتاراً عدّة من الأسلاك النحاسية المعزولة (النوع الذي أريده تحديداً) تُستخدَم حبلاً للغسيل. كما كان في زاوية الغرفة لفّة (بكرة) كبيرة منها.

قلت لتشاريتي: **كيف تلهو بأسلاك مثل هذه بينما أنا في حاجة ماسة إليها يا رجل؟**

أفـاد تشاريتي بأنّه حصل على الأسلاك لقاء عمله مع عمّه سائق الشاحنة، الذي باعه إيّاهـا بسعر منخفـض بحكم القرابـة. أخبرت تشاريتي أنّـه يتعيّن عليّ جنـي بعض المال، ربّمـا بإيجـاد وظيفة فـي السوق التجاري. ثـمّ قلت: **سأذهـب الآن للبحث عن عمـل**. ولكن، قبـل أن أبتعد، أخرج غيلبرت مئة كواتشا وأعطانيها، وبذلك أصبحت أملك ثلاثين متراً من الأسلاك.

قلـت: **هذا ما أحتاج إليه تحديداً يا غيلبرت. سأتمكّن الآن من إضاءة غرفتي. أعدك أن أرد لك مالك قريباً.**

قال: **لا تقلق حيال ذلك، ما عليك سوى إضاءة غرفتك.**

ولمّا بدا الأمل بعيد المنـال، ظهر غيلبرت مرّة أخرى لتقديم المساعدة.

خرجت من بيت تشاريتي مسرعاً حاملاً بكرة الأسلاك. انطلقت في الطريق نزولاً إلى الوادي، ثمّ توقّفت عند بقعة خالية من الأشجار أمام بيتي مباشرة، حيث شاهدت الطاحونة الهوائيـة وشفراتهـا التـي كانت تدور بعنف. وكنـت كلّما رأيت ذلك المنظـر أُصيبت معدتي بحالة من الانقباض والهيجان. أخذت نفساً عميقاً بعدها، ثمّ أكملت طريقي إلى البيت.

وحين وصلت البيت، فككت الأسلاك عن البكرة الخشبية، ثمّ قِست المسافة بين غرفتي والمولِّد، وزدت عليها بضعة أمتار إضافية من باب احتياطاً، ثمّ قصصت الأسلاك بسكينتي. بعد ذلك، تسلّقت البرج مُمسِكاً بالسلك، ثمّ فككت القصبة واللمبة من على العارضة العلوية، ثـمّ سحبت أسلاك المولِّد الموصولـة. لم أشأ أن أُصاب بصعقة. لذا، تجنّبت لمس السلكين فـي الوقت نفسه. أدّت الرياح الشديدة إلى دوران الشفرات بسرعة قربي، لدرجة أنّني خفت أن تقصـ شعـري. وقد تمكّنت أخيراً من فصل السلكين بعضهما عن بعض بعد عمليات عدّة من الشدّ والثني. وبعد أن وضعت القصبة واللمبة في جيبي، أوصلت السلك النحاسي الجديد بسلك المولّد، ثمّ لففتهما بكيس جامبو عند نقطة الالتقاء، ثمّ نزلت.

كان سقـف غرفتـي مصنوعاً مـن بعض أغصـان أشجـار اليوكاليبتوس، التي كوّنت دعامـة لغطاء بلاستيكي أسود، وطبقات من قش الأعشاب. وضعت سلّماً على جدار غرفتي الخارجـي، ثمّ حدَّدت مكان العارضة المركزية ولففتها بالأسـلاك مرّات عدّة، وأبقيت على

متريـن إضافييـن. وبعـد أن شبكت طـرف السلك بعمود خيـزران طويل، وضعتـه بمحاذاة عارضة السقف تحت الغطاء البلاستيكي والقش، وصولاً إلى الغرفة.

وحالمـا أصبـح السلـك داخل الغرفة، وقفـت على السريـر مُمسِكاً به، ثـمّ لففته حول العارضـة الموجودة فوق السرير مباشرة. ولمّا أعدت وصل القصبة واللمبة أضاءت الغرفة، فركضت باتجاه الباب وأغلقته بقوّة، ثمّ أخذت أنظر إلى الضوء بدهشة. كانت نافذتي تتألّف مـن غطـاء فضي اللون. لذا، لم تكـن تسمح بنفاذ الضوء. ولما كان البـاب كان مقفلاً، فقد نشـرت اللمبة الضوء فـي كلّ مكان، حيث رأيت أكوام الخردة المعدنيـة ملقاة في كلّ زاوية، والصواميل والمسامير مبعثرة على الأرض الطينية إلى جانب قطع من الأسلاك. لقد أصبح لديّ الآن مكاني المضاء المخصوص بي أول مرّة.

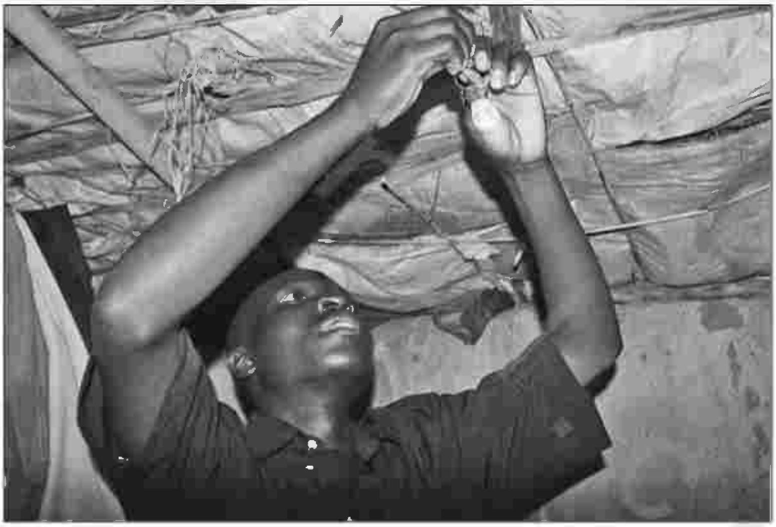

صورتي في أثناء توصيل اللمبة في غرفتي. إنّها – كما ترون – لمبة صغيرة مأخوذة من سيارة، وهي تتدلّى من السقف.

وكانت شقيقاتي قد لمحنني أدخل مسرعاً، فأخذن يطرقن الباب لرؤية ما يحدث.

سألت دوريس: **هل لنا أن نلقي نظرة عليها؟**

قلت: **تفضّلن بالدخول.**

استلقيـت في سريري تلـك الليلة وأنا أُحـدِّق باللمبة. كانت تتوهّج ضـوءاً أصفر بينما تصـرّ الشفرات في الخارج، وكان هذا الضوء كافياً لرؤية يديّ وقدميّ والمكتبة بجانبي. وما

هي إلّا لحظات حتى تجمّع أفراد العائلة كافة لتأمّل المشهد، لقد حشروا أنفسهم في غرفتي الصغيرة مشدوهين من تلك الإضافة الجديدة التي ميَّزت بيتنا.

قال والدي: **انظروا إلى ويليام الذي سيبقى مستيقظاً بعد حلول الظلام!.**

قالت والدتي: **أحسنت يا بنيّ. نود أن نحصل على مثل هذه الإضاءة في غرفنا نحن أيضاً، فهل يمكنك فعل ذلك؟**

قلت مازحاً: **هل أنت متأكّدة أنّك تريدين كهرباء يولّدها رجل مجنون؟**

قالت مبتسمة: **لقد أثبتَّ أنّنا كنّا على خطأ. لكنّني أعترف أنّني كنت قلقة حيالك بعض الشيء.**

سألَتْ روز: **ماذا لو هدأت الرياح؟**

أجبت: **سينطفئ الضوء وسأضيع. لكنّني أُفكّر في خطة لكي أحصل على بطارية.**

قلت لهم: إنّني بمجرّد حصولي على بطارية سيارة ومزيد من الأسلاك، فسأتمكَّن من تخزين الكهرباء لاستعمالها حين تهدأ الرياح. يمكن لذلك أيضاً تزويد البيت كلّه بالكهرباء. ولكن، يتعيّن عليَّ القيام بذلك تدريجيّاً. وما إن يرى مشروعي النور حتى يتمكَّن والداي من توفير المال الذي يدفعانه لشراء الكاز. تلك هي البداية فحسب. كانت خطوتي القادمة هي بناء آلة لضخ الماء إلى الحقول؛ إذ ستصبح الطواحين الهوائية – يوماً ما – درعنا الواقي في مواجهة الجوع.

شعرت تلك الليلة بحماس منعني من النوم، فبقيت مستيقظاً بعدما خلد الجميع إلى النوم، أُقلِّب صفحات كتاب «**شرح الفيزياء**»؛ استعداداً لخطوتي اللاحقة. كنت أتوقّف بين الفينة والأُخرى لأُلقي نظرة على الضوء مُتأمِّلاً توهّجه. فقد صبغ الوهج الدافئ الجدران وصفحات الكتاب، وانعكس عن غيوم الغبار الحمراء في الخارج. إيضاً هبّت رياح قوية كالعادة تلك الليلة.